İbn Haldun Çalışmaları Dergisi, 4 (1) 2019, 69-90
DOI: 10.36657/ihcd.2019.52

الدولة الوطنية ومفهوم الجماعات التحت-وطنية:
(دراسة لفكرة العصبية عند ابن خلدون)*

The national state and the concept of Sub-national groups: (Study in Ibn Khaldun's Al-Assaibya idea Chauvinism)

Ahcene Djeddi*
Marmara University, Turkey
djeddi_ahcen@hotmail.fr

Received: May 8, 2017 Accepted: December 14, 2018 Published: January 15, 2019

ملخص: يعتبر ابن خلدون من الأوائل الذين تطرقوا إلى دور العصبية في تلاحم المجتمع واستقراره، لتلي بعد ذلك دراسات انصبت في مجالات علم الاجتماع، وعلم الاجتماع السياسي وذلك بربط البيئة الاجتماعية بمحركاتها السياسية داخليا وخارجيا، وكذلك بربط الظواهر والنتائج المرتبطة بمجالات السياسة المقارنة والعلاقات الدولية.

انطلاقا من هذه الفكرة تسعى الورقة البحثية التي بين أيدينا ربط متغيرات البيئة المحلية للدولة بمكوناتها المجتمعية والسوسيو_ثقافية بمجالات التحليل في السياسة المقارنة، خاصة تلك التي تهتم بفهم مواضيع الديمقراطية والتنمية السياسية والاجتماعية، ومن جهة أخرى ربط هذه الأبعاد السوسيو_ثقافية بمواضيع العلاقات الدولية وقضايا البيئة الخارجية للدولة. وبالتالي تعتبر منطقة الشرق الأوسط – بمحدداتها السياسية والاجتماعية والثقافية وحتى التاريخية– بيئة خصبة لدراسة مكانة الجماعة التحت-وطنية في فهم التفاعلات الحاصلة بين الوحدات السياسية فيما بينها سواء على مستوى الدول أو المجتمعات، أو حتى بين أعضاء الجماعة الواحدة التي تنقسم ولاءاتها حسب معطيات فكرية أو سياسية أو حتى اقتصادية، على ضوء فكرتين اساسيتين في منهج اين خلدون ألا وهما:

1-فكرة العصبية وأدوارها الاجتماعية والسياسية في خلق عصبة لها انتماء وهدف موحد يربطها نوع من التضامن الاجتماعي في مواجهة الكيانات الاجتماعية الاخرى.

2-فكرة الوازع: الذي يقول عنه ابن خلدون أنه هو الحاكم بمقتضى الطبيعة البشرية أو الملك القاهر المتحكم (هنا نناقش فكرة هشاشة الدولة الوطنية في منطقة الشرق الاوسط)، بمعنى وجود سلطة تحفظ للمجتمع تماسكه وتعمل على تقوية التعاون بين أفراده وكبح عدوان بعضهم على بعض، ويقول ابن خلدون " واحتاجوا من أجل ذلك إلى الوازع وهو الحاكم عليهم، وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم".

كما سيتم التركيز بشكل خاص على الدور الذي أصبحت تلعبه هذه الجماعات في منطقة الشرق الأوسط سواء باعتبارها أدوات في أيدي القوى الاقليمية، أو باعتبارها فواعل مهمة لها دور وظيفي يصوغ نماذج جديدة في شكل ومهام الدولة في الشرق الاوسط ومتغير مهم تمر

ORC-ID: A. Djeddi 0000-0002-6932-0542

* This article is a review of the paper presented at the "4th International Ibn Khaldun Symposium" organized on 19-21 May 2017 in Istanbul.

** Ph.D. researcher at Marmara university, Anthropology and Sociology of middle east. Institute of middle east and Islam countries -Marmara University, Istanbul-Turkey / Ph.D. researcher at Algiers -3- university. Political sciences and international relations Algiers- Algeria

عبرها التفاعلات الاقليمية بين دول المنطقة. بتفصيل أكثر، فقد اصبح للنزعة الطائفية والعرقية –أو العصبية الدينية وعصبية الانتماء المذهبي حسب التعبير ''الخلدوني''– في المنطقة، الأثر البالغ في رسم معالم الخارطة السياسية والاستراتيجية الشرق اوسطية، وكمثال فقد اشتد ذلك بشكل خاص بعد انتصار ثورة الخميني في 1979 في ايران واقامة الجمهورية الاسلامية الايرانية بمنطلقات ثيوقراطية و شعبوية في آن واحد مما اثار سلسلة من ردود الافعال تبنها الجوار الاقليمي لإيران، كان من نتائجها تكتل الدول الخليجية في كيان واحد لمواجهة المد الايراني وخطر تصدير الثورة اليها، من خلال اقامة اتحاد مجلس التعاون لدول الخليجي كنظام فرعي عربي اصبح اليوم يعمل بمعزل عن جامعة الدول العربية والنظام العربي العام، هذا من جهة. من جهة أخرى توالت ردود الفعل للسياسات الايرانية بشكل اكثر عنفا بعد انهيار نظام صدام حسين وتعمق التغلغل الايراني في المنطقة وتأجيج النزعة الطائفية بإثارة الحروب والنزاعات على اسس مذهبي في العراق واليمن وصولا الى سوريا، ودور كل ذلك في صياغة علاقات جديدة بين ايران وبين دول الشرق الأوسط العربية منها والغير عربية لاسيما تركيا. وفي خضم هذه الفوضى أصبحت الولاءات المعهودة للدولة الوطنية تتعدى أطرها التقليدية لتمتد خارج حدودها لصالح القوى الاقليمية، بل علاوة على ذلك اصبح المجتمع الواحد في الشرق الاوسط يتسم بعدم التعايش في عالم يتسم بالتكتلات وسياسات الاندماج. و بهذا الادراك الخطير لانعدام الولاء وطني للجماعة التحت–وطنية سواء كانت مذهبية او دينية أو حتى سياسية، اصبح مفهوم الدولة في الشرق الاوسط مهددا، بل الحديث اليوم اصبح يدور حول دولة الطائفة أو دولة الجماعة أو ما يسميه ابن خلدون "بالعصبة "، و الامثلة في ذلك كثيرة على غرار الوضع في سوريا و العراق و اليمن، ففي سوريا طرح من بين الحلول اقامة الدولة العلوية في غرب سوريا و دولة الاكراد في شمالها، وهو نفس المنهج المطروح لتسوية الوضع العراقي منذ 2003 بتقسيمه الى كيانات شيعية وكردية وسنية، وكذلك بالنسبة لليبيا بتقسيمها الى ثلاث اقاليم حسب الانتماءات العرقية والاثنية.

الكلمات المفتاحية: *العصبية، الجماعات التحت–وطنية، الدولة الوطنية، الوازع.*

محاور الدراسة:
مقدمة
1-فكرة العصبية عند ابن خلدون وأدوارها من خلال المفاهيم الاجتماعية والسياسية الحديثة
2-تطور الدور الوظيفي لمفهوم "العصبة" والجماعة التحت وطنية سياسيا واجتماعياً في منطقة الشرق الأوسط
3- المفهوم السياسي الحديث لفكرة " الوازع" وإسقاطاتها على الأدوار الجديدة للدولة
4-الخارطة الإثنية للجماعات التحت–وطنية ونماذج لأدوار العصبية على الدولة الوطنية في الشرق الأوسط

Abstract: *Ibn Khaldun is considered one of the first who addressed the role of ''AL-ASSAIBYA'' in the cohesion and stability of the society, followed by studies in the fields of sociology and political sociology by linking the social environment with its political engines internally and externally. The purpose of this paper is to link the variables of the local environment of the state with its sociological and socio-cultural components in the fields of comparative policy analysis, especially those that deal with the understanding of the subjects of democracy and political and social development. On the other hand, these socio-cultural dimensions are linked to the subjects of international relations and external environmental issues of the state. Therefore the region of the Middle East -by its political, social, cultural and even historical dimensions- is considered a fertile environment for studying the status of the sub-national group for understanding the interactions among political units , whether at the level of countries or societies or even among members of a single group, whose loyalties are divided according into intellectual or political data, especially in the light of two basic ideas in the approach of Ibn Khaldun:*

1- The idea of ''AL-ASSAIBYA'' and its social and political roles in creating a league with a common ''Band'' linked by a kind of social solidarity to face other social entities.

2- the idea of ''EL-Wazii'': which Ibn Khaldun says that he is the ruler according the human nature or the reigning king dominates (here we discuss the idea of the fragility of the national state in the Middle East), in the sense of the existence of an authority that preserves society cohesion and

works to strengthen cooperation between its members and curb the aggression of some on Some, Ibn Khaldun says, "….and they needed to do that to the ruler who ruled over them, which is by virtue of the human nature of the omnipotent king domineering."
Particular emphasis will be placed on the role played by these groups, both as tools in the hands of the regional powers, or as an important task that has a functional role to form new models in the form and functions of the State in the Middle East. In more detail, sectarianism and ethnicity - or religious fanaticism and ''AL-ASSAIBYA'' in the region - have had a profound impact on the demarcation of the Middle East's political and strategic landscape. For example, after the victory of the Khomeini revolution in 1979 in Iran and the establishment of the Islamic Republic of Iran by theocratic and populist bases, which triggered a series of reactions adopted by Iran's regional neighborhood. As gathering under a bloc by Gulf states in a single entity to confront the Iranian tide and the danger of exporting the revolution to it, On the other hand, the reactions to Iranian policies have become more violent following the collapse of Saddam Hussein's regime, deepening Iranian penetration in the region and fueling sectarianism by provoking war and sectarian strife in Iraq and Yemen and reaching Syria, and the role of forging new relations between Iran and the Middle East. Arab and non-Arab countries, especially Turkey. In the midst of this mess, the loyalties to the national state have transcended their traditional frameworks to extend beyond their borders to the benefit of the regional powers.
In addition, The concept of a state in the Middle East has been threatened. Today, however, the issue of the State of the community or the state of the group or what Ibn Khaldun has called "the League"''EL-OUSBAH'' has become a fact. For example In Syria, one of the solutions was the establishment of the Alawite state in western Syria and the Kurdish state in the north. It is the same approach that has been proposed to settle the Iraqi situation ,since 2003 by dividing it into Shiite, Kurdish and Sunni entities. To Libya by dividing it into three regions according to ethnicities.

Keywords*: AL-Asabiya, sub-national groups, national state, El-wazii*

1. مـقدمة

إن الحديث عن الجماعات التحت-وطنية كمتغير مهم في مسار بناء الدولة والحديث عن دورها في عمليات التحول الديمقراطي، بدأ يعرف طريقه نحو الظهور وبصفة مكثفة مباشرة بعد التحول الكبير الذي عرفته بنية النظام الدولي، و ذلك بعد انهيار المعسكر الشرقي وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بزعامة العالم. ففي ظل هذه الظروف الدولية المستجدة و الانتقال نحو الأحادية القطبية، حاولت القوى الكبرى مستغلة الوضع لفرض النموذج الديمقراطي الليبرالي الغربي على هذه الأنظمة وذلك بما تمليه عليها مصلحتها. و بما يجعل نموذجها أمام العالم النموذج الأصلح في تسيير شؤون الحكم والاقتصاد و نموذجا مناسب كنمط حياة لكل الشعوب في مقابل فشل النموذج الاشتراكي. ولم تكن منطقة الشرق الأوسط تشكل استثناء في هذا، حيث صاحب موجة ما عرف بالربيع العربي" في بعض دول شمال افريقيا و الشرق الاوسط تجدد مطالب الكثير من المكونات الاجتماعية بتأسيس عصبة لها فاعلة في مجتمعاتها وبالأخص الأقليات العرقية، الدينية و الاثنية...ومنها من جددت مطالبتها بإقامة حلمها في انشاء دولتها أو كياناها الاجتماعية و السياسية المستقلة عن باقي المكونات الاخرى. ويُرجع كثيرون ذلك الى المتغيرات التي شهدها المنطقة في العقدين الأخيرين، و هشاشة الدولة الوطنية في العديد من البؤر التي تعرف تنوع عرقي واثني (سوريا، اليمن، العراق..كأمثلة). من جهة أخرى أصبحت هذه الجماعات أدوات تستخدمها القوى

الاقليمية لإثارة التوترات العرقية والدينية داخل الدول، والادعاء بأنها الحامي لخصوصياتها وحقوقها تارة (السياسة الايرانية تجاه العراق بعد 2003، و في اليمن جماعة الحوثي، والبحرين وغيرها باسم النصرة للطائفة الشيعية "المستضعفة") و (السياسة السعودية تجاه البحرين ولبنان واليمن باسم دعم الشرعية)، وتارة أخرى العمل على إثارتها قصد استهداف الدول التي تحتويها من اجل تصدير أزماتها الى خارج حدودها واستخدامها كأوراق في سياساتها الخارجية في حرب المصالح.

2. فكرة العصبية عند ابن خلدون وأدوارها من خلال المفاهيم الاجتماعية والسياسية الحديثة

العصبية، كفكرة انطلق منها تحليل ابن خلدون لسيرورة العمران البشري بما يحمله من زوايا مفسرة لحركية نشوء الدول و المماليك والجماعات الإنسانية، مرتبطة بشكل أساسي بمنطلق فهمه لمدنية الانسان –حسب التعبير الحديث لذلك– فاجتماعية الانسان تفرض عليه إيجاد نطاق معين يدافع فيه عن وجوده بما يحمله هذا المعنى من معطيات هوياتية ولغوية وحياتية...، لذا فقد ركز ابن خلدون في صياغته لفكرة العصبية بمعزل عن *"فكرة الوازع "*على فرضيتين أساسيتين هما:

أ–اجتماعية الانسان: بمعنى أن الانسان مدني بطبعه ولايصح وجوده، ولا تستقيم أحواله إلا بالعيش مع غيره من بني جنسه، حيث أن اجتماعية الانسان تفرضها ضرورة التعاون بين أفراد الجماعة الواحدة.

ب– الطبع العدواني لدى الانسان: والذي يسميه "الدكتور محمد عابد الجابري" في كتابه *العصبية و الدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي*، بأثار القوى الحيوانية التي لاتزال تتسم بها بعض السلوكيات البشرية، وذلك استنادا لما عبر عنه ابن خلدون بقوله: "*أخلاق البشر فيهم الظُّلم وعدوان بعضٍ على بعضٍ، فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه، امتدت يده إلى أخذه إلا أن يصده وازع*"[1]، فالمغزى هنا أن الانسان مجبول على الخير والشر معا، التعاون والعدوان[2]. ومنه فالحياة الاجتماعية لا تخرج عن هذين المظهرين للتفاعل الإنساني (مظهر التعاون بما يحمله من أشكال التعايش وتبادل المنفعة والاتفاق)، و (مظاهر العدوان بما تحمله من أشكال العنف، والتنافس، والحروب واللاتعايش). وما ينظم ذلك هو الوازع سواء كان متمثلا في سلطة معنوية كقيم أخلاقية واجتماعية أو دينية، أو أن يكون هذا الوازع سلطةً مادية يصنفها ابن خلدون في مظهر الغلبة والسلطان واليد القاهرة، بمعنى سلطة الحكم أو الدولة.
وبالتالي فإن العصبية بدون وازع ما هي إلا مجرد سلوك غرائزي مغروس لدى الجماعات الإنسانية تتحكم فيها خصال التعاون وطبائع العدوان المميزة للسلوكيات البشرية.

2.2. أنواع العصبية في فكر ابن خلدون:

يشير ابن خلدون في مقدمته الى تطور أدوار العصبية سواء في البيئة البدوية أو في البيئة الحضرية من عصبية جامعة إلى مجموعة عصبيات متناحرة فيما بينها وذلك لارتباطها بهدفها الاسمى والذي هو الملك أو الغلبة، فهو يجزم أن الغاية التي تسعى إليها العصبية هي الملك، رغم ان بداياتها لا تتعدى الحماية والمدافعة والمطالبة،إذ يقول:

1 – مقدمة إبن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، الجزء 1، الفصل السابع، دار الفكر : (بيروت، لبنان)، 2001، ص.159.
2 – محمد عابد الجابري، *العصبية و الدولة : معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي*، مركز دراسات الوحدة العربية : (بيروت، لبنان. 1994) 163.

" أن الآدميين بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض فلا بد أن يكون متغلبا عليهم بتلك العصبية وإلا لم تتم قدرته على ذلك وهذا التغلب هو الملك..."[3]

عصبية الدم والنسب:

في مقدمته التي جاءت بعنوان " *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"* ، أفرد ابن خلدون فصلها التاسع من الجزء الأول للحديث عن مكانة رابطة النسب والدم في تقوية النعرة لذوي القربي من أجل خلق التحالفات والمناصرة، حيث يعتبر أن أهمية هذه الرابطة تتمثل في وظيفة المناصرة، وبالتالي مجرد الشعور بالانتماء الى نسب معين حتى وإن كان هذا الشعور وهمي يكفي أن يكون له دور إحقاق غاية العصبية إذا ما أدى وظيفة المناصرة من خلال شعور الأفراد المشتركين في هذا الشعور الوهمي لأجل التعاضد والذود عن بعضهم البعض من أن ينالهم الظلم أو أن تصيبهم هلكة حسب تعبيره.

من جهة أخرى فقد اعتبر ابن خلدون أن ما يترتب عن هذا الشعور الوهمي "النسب" من تعاضد الأفراد للدفاع عن بعضهم ما هو إلا نزعة طبيعية في البشر، ويكون ظاهرا بشكل أكبر كلما كانت وصلة القرابة قريبة فيما بينهم، لتتضاءل كلما ابتعدت هذه الوصلة والقرابة بابتعاد النسب، بمعنى أن الأفراد تزيد نعرتهم في رابطة الدم لقريبهم في النسب أكثر من ذلك الذي يقربهم في النسب الأبعد، يقول: "*..فإذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبا جدا بحيث حصل به الاتحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها وإذا بَعُد النسب بعض الشيء فربما تُنُوسيَ بعضها فتحمل على النصرة لذوي نسبه بالأمر المشهور منه فرارا من الغضاضة.. "* .

أما في وهمية النسب وأن أهميته تكمن فقط في إثارة النعرة للمناصرة والتعاضد فيقول: "*..أن النسب إنما فائدته هذا الالتحام الذي يوجب صلة الأرحام حتى تقع المناصرة والنعرة و مافوق ذلك مُستغنى عنه إذ النسب أمر وهمي لا حقيقة له ونفعه إنما هو في هذه الوصلة والالتحام..."* [4].

كما يعتبر ابن خلدون أن التركيز على رابطة النسب وما ينتج عنه من عصبية ونعرة للتعاضد والمناصرة، صفة ملازمة للبداوة والفقر، خاصة عند القبائل العربية التي تتميز بالفقر المتقع ووعورة الحياة والبداوة، حيث اعتبر أن طبيعة حياتهم القاسية ونمط معيشتهم البدوية جعلهم يهيمون في الصحراء بحثا عن مصادر الأكل والغذاء لإبلهم وحيواناتهم مما جعل اختلاطهم بباقي الاجناس أمر لا يستهوي باقي الأمم، بل يقول: لو وجد واحد منهم السبيل إلى الفرار من حاله وأمكنه ذلك لما تركه". ومن أمثلة تلك القبائل العربية مضر وقريش، كنانة، ثقيف، بني أُسد و هذيل ومن جاورهم من خزاعة، وهم على عكس القبائل العربية التي عرفت الاختلاط والتداخل في أنسابها كقبائل قضاعة، لخم، جذام، إياد، غسان، وغيرها من القبائل التي استوطنت الأراضي القريبة من المراعي والتلال و الأرض الخصبة. [5]

أما رابطة النسب والانتساب إلى الموطن أو الأرض فقد أشار بوجودها ابن خلدون لكنه لم يشر إلى مدى دورها في إثارة النعرة للتناصر مقارنة بعصبية النسب القائم على رابطة الدم والقرابة.

---

[3] – مقدمة إبن خلدون، مرجع سابق، 174.

[4] – مقدمة إبن خلدون،مرجع سابق، 160. 161.

[5] – مقدمة إبن خلدون، مرجع سابق، ص.162.

عصبية الدين:
على الرغم من أن الدين يناقض ويعادي الدعوة للعصبية، إلا أن العصبية بشكلها الداعي للمناصرة والمعاضدة هي ضرورية –حسب ابن خلدون– لإتمام الدعوة الدينية، فعلى سبيل المثال كانت الدعوة الإسلامية في جزيرة العرب محطمةً لكل أنواع العصبية القبلية و مفرقة لروابط الدم بين أفراد القبيلة والعشيرة الواحدة، بل حتى أن رسالة الإسلام حطمت بعض القوانين والأعراف المجتمعية المتوارث عليها في المجتمع العربي القديم و أحللت أخرى كالمساواة بين العبد وسيده، إلا أن ابن خلدون يجزم في الفصل السادس من كتابه المقدمة بأن الدعوة الدينية من دون عصبية لا تتم، وذلك أن العصبية في هذا الموضع تعني التأييد وانتقال الولاءات من روابط الدم والنسب إلى رابط الإيمان والأخوة فيه، فمهما كانت الدعوة الدينية أو الفكرية – بمقاييس العصر الحديث– على حق وداعية للرقي بالمجتمع إلا أنها لن ترى الطريق للنجاح إلا إذا رافقتها عصبية تناصرها. كما قد تكون عامل سلبي في خلق اللاتعايش والصدام بين المكونات المجتمعية المختلفة، فمن مشاكل المجتمعات في الشرق الأوسط اليوم هي العصبية للدين والطائفة والمذهب، بشكل جعل من اللاتعايش السمة الأبرز لتلك المنطقة والتي أخذت في الانتشار لتشمل كل المجتمعات في العالم الإسلامي.

عصبية الغلبة أو الرياسة:
على الرغم من أن العصبية هي الطريق المؤدي لإحقاق الملك وتأسيس الدول حسب ابن خلدون، إلا أن هذه العصبية بدورها إذا ما تمازجت بالملك والغلبة خلقت عصبيات أخرى متناحرة، فبعد أن قادت العصبية قبائل العرب لإقامة دولتهم التي أنهت حكم الفرس والروم ومن جاورها من الشعوب والأمم، أدت بهم إلى أن يجدوا أنفسهم في عصبيات متناحرة إلى اليوم وأصبح ما يقتل المسلمين من بعضهم البعض يضاهي ما يفعله العدو بهم.

وفي هذا الصدد يقول إبن خلدون: *" وذلك أن الرياسة لا تكون إلا بالغلب. والغلب إنما يكون بالعصبية.فلابد في الرياسة على قوم أن تكون من عصبية غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة لأن كل عصبية منهم إذا أحست بغلب عصبية الرئيس لهم أقروا بالإذعان والاتباع."*[6]، وعلى الرغم من ذلك فإن لعصبية الغلبة أو الرياسة، وجه أخر يخدم الدولة ويزيد من قوتها، وهو أن العلاقات السائدة داخل العصبية الحاكمة في الطور الأول من أطوار الدولة قائمة على المشاركة في المجد والثروة الناجمة من الغنائم...، وهنا يكون الشعور السائد لدى ولاتها أنهم أفراد العصبة الحاكمة وقادتها، وكل منهم يعتبر نفسه جزءا من العصبة يخدمها وتخدمه، بحيث تصبح المصلحة الخاصة للحاكم مهما كان المستوى الذي يحكم فيه، مستمدة من المصلحة العامة للعصبة الحاكمة.[7] وأبرز مثال يجسد ذلك اليوم في الشرق الأوسط هو حكم الأنظمة الملكية فيها، وكذلك تنامي العصبة القائمة على المعطيات الدينية والمذهبية كالعراق بعد 2003 وتولي الطائفة الشيعية الحكم فيه، فقد أصبح الكثير من رجال الدين الشيعة الذين لهم تأثير على عامة الشعب العراقي يربطون بقاء الحكم في يد الطائفة الشيعية أسمى هدف يجب على الشعب دعمه، مع اعترافهم بمدى فساد الطبقة السياسية العراقية والدور الإيراني الضارب لكل مقومات الدولة الوطنية في العراق الجديد.

أما في أصل أنواع العصبية المتعارف عنها عند ابن خلدون فهما قسمان:

–عصبية قائمة على النسب (كما تمت الإشارة إليه) وأخرى عصبية السبب، و التي يندرج تحتها التصنيفات السابقة (عصبية الدين و عصبية الغلبة أو الرياسة)، وهذه الأخيرة يمكن إسقاطها على المتغيرات الحديثة والمعاصرة التي تشهدها المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط، لكن تجدر الإشارة هنا أن ربط فكرة العصبية

---

6 – مقدمة إبن خلدون، نفس المرجع، ص، 165.

7 – –محمد عابد الجابري، *العصبية و الدولة : معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي*، مرجع سابق، ص.222.

عند ابن خلدون بمفاهيم علم الاجتماع السياسي الحديث والعلوم السياسية بصفة عامة، يجعل من مفهوم العصبية مفهوما مطاطا قد يشير إلى النعرات الطائفية أو القومية وحتى السياسية. وبالتالي يصبح مفهوم الجماعة التحت-وطنية مفهوما أوسع للدلالة على هذه العصبيات المعقدة، حيث جعلت التطورات الحديثة التي شهدتها المجتمعات الإنسانية في ثلاث عقود الأخيرة من مفهوم العصبية مصاحب لما أصبح يعرف بالطائفية بأوجهها السياسية (فيصطلح عليها بالطائفية السياسية)، والاجتماعية (الطائفية الاجتماعية)، والدينية (الطائفية الدينية أو المذهبية).

3. تطور الدور الوظيفي لمفهوم "العصبة" والجماعة التحت وطنية سياسيا واجتماعياً في منطقة الشرق الأوسط

نظرا لتاريخها الضارب في القِدم، وتعاقب العديد من الحضارات والفلسفات المادية والدينية عليها، إضافة إلى أنها المكان الذي اجتمعت فيها الديانات السماوية الثلاثة، تعتبر منطقة الشرق الأوسط بيئة ذات مزيج جامع لمختلفات الجماعات الإنسانية ذات التنوع العرقي والديني والفلسفي..، والذي بدوره جعلها تلعب دورا بارزا في تاريخ الإنسانية لفترات طويلة من الزمن، حيث مثلت مركز إشعاع له لعدة قرون سياسياً وحضارياً. وعلى الرغم من أنها لاتزال تحتفظ بهذا التنوع الديني والثقافي، إلا أن هذا الأخير عاد عليها بالسلب من خلال تحوله إلى وقود لنشوء الحروب الطائفية والمذهبية، واللاتعايش الذي أصبح هو السمة الغالبة لشعوبها بفعل تداخل عوامل السياسة وحسابات الاقتصاد ومصالح القوى العظمى، و هشاشة الدولة الوطنية بها، مما جعل من دور الجماعات التحت-وطنية يتعاظم على حساب الدور الذي يمكن تلعبه الدولة الجامعة لكل الأعراق والاثنيات. كما لم يعد لمنطق التعايش صدى يذكر على حساب التأجيج الطائفي والنعرات القومية واستفراد فئات معينة وكيانات اجتماعية بعينها بسلطة الحكم والقرار باسم الشرعية الدينية تارة، أو باسم العائلة والملكية تارة أخرى، في مشهد غاب فيه منطق الدولة الوطنية ومفاهيم المساواة والأمة الواحدة عن الثقافة الجمعية للشعوب الشرق الأوسطية، مما جعل من الجماعات صاحبة "الولاءات التحت-وطنية" المحرك الرئيسي ومركز الصراع بين فواعل المنطقة ككل. تارة بصفتها الفئة المنتهك حقها، وتارة أخرى تكون في محل الأقلية الغالبة المنتهكة لحقوق الأغلبية العددية والثقافية "المغلوبة" إذا ما تقلدت سدة الحكم والسلطة.

ومنه ما لمقصود بالجماعات التحت-وطنية وما هو الدور الذي يمكن ان تلعبه الولاءات المرتبطة بها في صياغة الانتماءات العرقية والسوسيو-ثقافية داخل الدولة الوطنية ؟.

يقصد بالجماعات التحت-وطنية، هي تلك الكيانات المجتمعية، السياسية والثقافية المنتمية للدوائر والولاءات القبلية، العرقية، الدينية والمذهبية، و التي تنسج علاقاتها في كثير من الأحيان بشكل يتجاوز الدولة إلى مستويات أخرى[8]، والمقصود بمستويات أخرى أنها قد تكون أطراف اقليمية أو محلية لها تأثير داخل الدولة نفسها، كما أنها مصاحبة لفكرة ربط الولاءات الثقافية لمكون اجتماعي معين داخل الدولة بشكل يتعارض في قيمه الثقافية والسياسية مع بقية المكونات الأخرى المشكلة للدولة الوطنية. وخطر مثل هذه الكيانات التي يصطلح عليها باسم الجماعات التحت-وطنية *sub-national goups* يتشكل إذا ما تم تسيسها لخدمة مصالح تضر بهيكل الدولة الوطنية وفكرة التعايش مع بقية المكونات الأخرى، سواء من خلال تغليف عملية تسيسها بالغلاف الديني أو المذهبي، أو من خلال الغلاف الإنساني وقضايا حماية حقوقها المدنية والثقافية والهوياتية أو غيرها من الحجج المستعملة في هذا السياق.

---

[8] Prerna Singh, Subnationalism : The Concept , a measure & its application to Indian States: Prepared for delivery at the Annual meeting of the American Political Science association, Department of Government, Harvard University, August28-31;2008.p.p.2.3

وعليه فإن الجماعة التحت–وطنية قد تكون جماعة إثنية، أو جماعة عرقية، أو مكون ثقافي معين، مذهبي، طائفة دينية، أو حتى جماعة سياسية ذات خلفية هوياتية لها امتدادات خارج الدولة التي تشكل فيها أقلية (من حيث التأثير وليس العدد) إلى الجوار الإقليمي الذي يسعى لاستخدامها بهدف ضرب وظيفة الدولة القومية الجامعة لكل الاختلافات. لكن على الرغم من ذلك لا تزال الأقليات العرقية والمذهبية تشكل النواة الأساسية لمفهوم الجماعة التحت–وطنية خاصة في منطقة مثل منطقة الشرق الأوسط وباقي دول العالم الثالث التي تتقاسم معها نفس الخصائص الاجتماعية والسياسية.

1.3.الجماعة التحت وطنية في الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث:

باعتبار أن المجتمع بواقعه الحديث، هو مصطلح شامل يحمل مدلولات التعقيد في التنظيم الإنساني، تلتزم فيه مجموعة من الناس بإنشاء مؤسسات مادية ومعنوية مشتركة تحدد من خلالها كيف يجب أن تقاد العلاقات الإنسانية فيما بينها. كما تختلف المجتمعات في تعريف الأفراد لأنفسهم وللقيم التي يجب أن تتحكم فيهم والتي يلتزمون بها من دولة لأخرى ومن مكان لآخر، كذلك هو الحال في اختلاف كل مجتمع في علاقته بالسلطة التي يكون راضخا تحت حكمها والدولة التي ينتمي إليها، مما يحقق له الشعور بالتميز عن باقي التجمعات الإنسانية المحيطة به. وفي هذا الصدد يُعرِف الناس أنفسهم بمفاهيم ومعايير عديدة ومتنوعة، منها ما يكون فيها المعيار الهُوياتي هو المحدد, كالحديث عن الهوية الألمانية، وربطها بالمجتمع الألماني، فيصبح الحديث عن المجتمع الألماني يقود أوتوماتيكيا أذهان الغير الى الحديث عن الهوية الجامعة لهذا المجتمع أو الهوية الأمازيغية، العربية، الكردية، الزولو، الهوية اليهودية...وغيرها. فهنا تكون الهوية الطاغية هي "الهوية الاثنية" بما تحمله من تشعبات عرقية، تاريخية، وحتى سياسية في كثير من الأحيان. فعند استعمال مصطلح الهوية الإثنية *Ethnic identity* أو الاثنية *ethnicity*، يكون التركيز على علاقة الفرد ببقية أفراد المجتمع. حيث أن المقصود بالهوية الإثنية هو:*"مجموعة الأطر القيمية التي تربط الناس معا من خلال ثقافة مشتركة"* [9]. هذه الأطر قد تشمل اللغة، الدين، الانتماء الجغرافي، نمط الحياة، الزي معتاد لباسه، و التاريخ المشترك...، وتكون هذه الصفات المميزة مؤسَسة بشكل تعطي لأصحابها شعور "بالهوية الخاصة"*Particular identity* ضمن المجتمع ذاته، والتي يتم التخلي عنها –غالبا–عبر الزمن من جيل إلى جيل آخر من خلال عملية تعرف بـ "الانتساب"*'' ascription ''*.

تمنح الإثنية، تضامن اجتماعي لأفرادها، كما أنها تمنح قدر عالي من المساواة لهم في مواجهة الجماعات الأخرى، لهذا تكون الجماعات التي تتمتع بقدر عالي من التضامن الاجتماعي أكثر تشاركية في توزيع الموارد فيما بين افرادها مقارنة بتلك التي يكون بينها تضامن اجتماعي ضعيف، حيث يتسم السلوك بين افرادها بسمة الفردانية. والتضامن هنا هو الولاء للجماعة وقيمها، وعلى النقيض من ذلك تكون الجماعة الإثنية صاحبة التضامن الاجتماعي أقل تشاركية لمواردها مع الجماعات التي تختلف عنها اثنيا، والأهمية هنا تكمن في أن ما يحدد مثل هذه الجماعات هو الرابطة الاثنية *Ethnic Association*، بحيث يكون التشارك في الثروة والموارد خاضع للانتماء الاثني والهوياتي بشكل أكبر من معطيات أخرى كالاقتصاد أو السياسة، وبالتالي تقف المجتمعات التي تتوفر على تنوع مجتمعي كبير أمام تحديات جادة في تقليل اللامساواة بين أفرادها مقارنة بتلك التي تتسم بالتناسق والانصهار بين افرادها.

2.3. الجماعة الإثنية والأمة:

[9] – Patrick H. O'neil, *Essentials of comparative politics* (U.S.A : W.W.Norton & Copyright,3rd edition,2010), 49.

على عكس مفهوم الأمة، يعاني مفهوم الإثنية من مشكلة إيجاد تعريف ثابت ومتفق عليه بين مختلف المدارس وأدبيات العلوم السياسية، وذلك راجع لكون هذا الأخير قائم على سلوك معين يختلف من مجموعة لأخرى، كما أنه مفهوم غير متأصل في ميدان السياسة. كما هو حال فكرة الأمة Nation، أو الهوية الوطنية National identity اللذان هما أكثر ترسيخا في العديد من البحوث والمنطلقات الفكرية والنظرية في ميدان السياسة المقارنة وعلم الاجتماع السياسي.

إذا كان مدلول الهوية الإثنية هو مجموعة مؤسسات تربط الناس معا من خلال ثقافة مشتركة، فإن الهوية الوطنية يمكن أن تعرف على أنها مجموعة من المؤسسات التي تربط الناس معا من خلال الطموح السياسي المشترك[10].

3.3. مطالب الجماعات الاثنية:

يقدم الأستاذ في جامعة *McGill University* البروفيسور جاكوب ليفي *Jacob T. Levy*[11] مجموعة من المطالب التي ترسخت في الصراعات الاثنو-ثقافية الحديثة، والتي أصبحت هي القاسم المشترك بين مختلف الجماعات الإثنية بشكل تعدى تصنيفها من مجرد مطالب الى اعتبارها حقوق مشروعة لهذه الجماعات التحت-الوطنية، خاصة لدى أطروحات الفكر الليبرالي وتياراته المتقدمة كأطروحات المدرسة البنائية، وعليه فقد أصبح الربط بين شرعية هذه المطالب لا ينفصل عن موجة الصراعات الهوياتية التي ميزت العلاقات الدولية منذ انهيار المعسكر الشرقي وبروز الجمهوريات القومية الجديدة في أوروبا الشرقية وانتقال هذه الموجة الى مناطق ودول في الشرق الأوسط من خلال معطيات جديدة يحددها الانتماء الطائفي أو الديني أو العرقي (العراق-سوريا-لبنان نماذج). في هذا الاطار يمكن التركيز على أهم سبعة مطالب يحددها جاكوب ليفي *Jacob T. Levy* تتسم بالتشابه في الهيكل المعياري، والمضمون المؤسساتي، وهي:

المطالبة بالاستثناءات أو الإعفاءات *Exemptions:*
ويكون الاعفاء أو الاستثناء من الزامية الخضوع لقانون يدعي الحياد ظاهريا وهو في الحقيقة يلغي هوية الأقلية الثقافية، بمعنى أن الجماعة الإثنية على وعي كامل يجعلها تعترض دوما على الصيغ القانونية التي تسوق على حساب قضاياها الثقافية والهوياتية لحساب قضايا تعتبرها الدولة أعلى وأهم كقضايا الامن أو تلك القوانين التي تدعي حماية الوحدة الوطنية على سبيل المثال، لكن في الأصل هي تستهدف مكون اجتماعي معين بالحماية وأخر بالإلغاء التام او الجزئي لهويته (العراق، قانون 4 إرهاب في عهد رئيس الوزراء نوري السابق نوري المالكي).

العمل على التخلص من أعباء الجماعة المهيمنة:

بمعنى مطالبة الجماعة التحت_وطنية لأفرادها بعدم الانخراط في نشاطات الجماعة المهيمنة وذلك كون هذه الأخيرة تتحول عبئ على الجماعة التحت وطنية في سعيها لإثبات دورها والحلول محل الجماعة المهيمنة من خلال

---

10 -O'neil, *Essentials of comparative politics*, 50.

11- البروفيسور *جاكوب ليفي* Jacob T. Levy شغل منصب بروفيسور في العلوم السياسية في جامعات *McGill University, University of Chicago, Princeton University*، له عدة مؤلفات منها:
Rationalism, Pluralism, and Freedom. Oxford University Press, 2014. *The Multiculturalism of Fear*. Oxford University Press, 2000.
للمزيد أنظر: https: //www.mcgill.ca/politicalscience/faculty/levy

تحمل السلبيات الناتجة عن نشاطات الجماعة المسيطرة[12]. (مثلا بعد قيام الحراك الشعبي في سوريا عام 2011 طالبت العديد من الشخصيات العلوية والمسيحية عدم مساندة نظام بشار الأسد والانخراط في نشاطاته تجاه المعارضة السورية حتى لا تتحمل عبئ ذلك طائفة معينة أو مكون دون غيره) هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يقصد من مطلب التخلص من أعباء الجماعة المهيمنة، هو عامل القابلية والقدرة على القيام بهذا الدور حيث تدفع بعض الجماعات التحت_وطنية بأفرادها نحو الصدام مع بقية المكونات الأخرى للمجتمع، وذلك بلعب دور الجماعة المهيمنة مع افتقادها للقدرة والقابلية لذلك، مما يدفع الى إثارة بقية المكونات الأخرى للتكتل ضدها وإقصاءها وبالتالي تَلحق بها ما يعرف بسلبيات الجماعة المهيمنة، وتكون غالبا مثل هذه الممارسات سمات مميزة للجماعات الدينية (نموذج طالبان ضد بقية مكونات المجتمع الافغاني 1992-2001)،و (تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام منذ أواخر 2013 و بدايات 2014)، وكذلك الحركات اليمينية المتطرفة التي تعتنق أفكار سياسية لا تحضي بدعم أغلبية المجتمع كالحركات اليمينية في المانيا وفرنسا وهولندا وغيرها..).

الحكم الذاتي: *Self-government*

سواء من خلال جزء أو من خلال الاستقلال التام بالحكم داخل الدولة. ويعد ذلك أعلى مطلب تطالب به -عادة- الجماعة التحت وطنية.(أكراد العراق).

القواعد الحامية للثقافة: والتي يسميها جاكوب ليفي *Jacob T. Levy* بالقواعد الخارجية *External rules*، والتي من شأنها الحد من حرية الغير أعضاء والغير منتمين للجماعة التحت-وطنية في سبيل حماية الثقافات المهددة بالخطر أو بشكل أعم في سبيل حماية الممارسة الثقافية لهذه الجماعة والحفاظ على تراثها وانتماءها السوسيو-ثقافي.

الالتزام بالقواعد الداخلية. *internal rules*

والتي تحد من حرية الأعضاء و المنتمين للجماعة التحت-وطنية، والتي يقول عنها ليفي أنها يجب ان تكون مُطاعة حتى تبقي للأفراد خاصية الانتماء للجماعة، بمعنى أن هذه القواعد والشروط الداخلية تلعب دور التضامن العضوي والميكانيكي الذي تكلم عنه دوركايم لدى الجماعة الواحدة، فعلى أساسها تمنح صفة الانتماء للأفراد، حيث تشمل هذه القواعد المبادئ والأعراف والقوانين المحددة لهوية الجماعة الواحدة بما تتشارك فيه فيما بينها.

الاعتراف وتأكيد تطبيق الممارسات العرفية والقانونية من قبل النظام المهمين الشرعي:

ويقصد بذلك لجوء الجماعة التحت-وطنية الى الاحتماء بمؤسسات وتشريعات القانون الذي يصوغه النظام المهيمن شرط ان يكون ذا مصداقية تخوله ان يقف على مسافة واحدة من كل المكونات الاجتماعية. وهي آلية تعطي للجماعات الأخرى الشعور بالاطمئنان قصد أن لا تُلغى هويتها وخصوصياتها الثقافية والاجتماعية داخل المجتمع كما تمكنها من الحفاظ على حقوقها في لعب دور داخله.

ضمان تمثيل للأقليات في مؤسسات الدولة: مما يخولها المشاركة السياسية و إيصال تطلعاتها وقضاياها بنفسها[13].

---

12 - Iann Shapiro, Will Ktmlicka, *Ethnicity and group rights* (New York University press,1997),5-6.

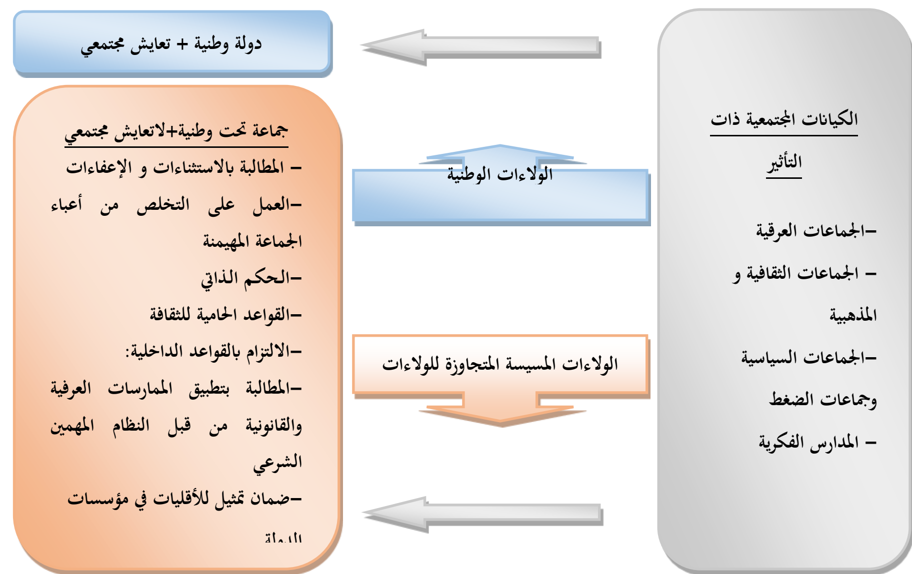
13 -Ibid.,6.

4.3. الكيانات السوسيو-سياسية المشكلة للجماعات التحت-وطنية:

يصنف العالم الانثروبولوجي الأمريكي ***"ألمان روجر سارفيس"***[14] ***Elman Rogers service*** - صاحب *نظرية التطور الثقافي، في كتابه" النظم الاجتماعية البدائية: التطور المتوقع" Primitive Social Organization: An evolutionary prespective*، - يصنف الكيانات السوسيو-سياسية للجماعات التحت-وطنية الى أربع نظم سوسيو-سياسية رئيسية هي: **1-العصابة أو العصبة أو الزمرة(*Band*)، 2-القبيلة(*Tribe*)، 3-المشيخات (*Chiefdoms*)، 4-الدولة (*State*)**، وكل هذه الأنماط من النظم السوسيو-سياسية موجودة بشكل أو بآخر في منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا في حدود الدولة الواحدة.

كما أن العلاقات بين الأفراد داخل الزمرة، القبيلة، والمشيخة تقوم على روابط القرابة، حيث أن كل الأعضاء المنتمين للجماعة يؤمنون بأنهم يشتركون في نفس العرق والأصل والسلف، حتى وإن كان ذلك لا يستند على أسس حقيقية، فحسب **ألمان روجر** فإن القرابة الوهمية تفرض نفس الالتزامات مثلها مثل القرابة الحقيقية، فمجرد الشعور بالانتماء لدى افراد الجماعة الواحدة يترتب عليه التزامهم بجملة من الأسس الثقافية والالتزامات الاجتماعية، والمسؤوليات تجاه بعضهم البعض واتجاه بقية الجماعات الأخرى لتحقيق أهداف اقتصادية أو سياسية. من جهة أخرى فإن صلات النسب تلعب دور في تأسيس هيكل تنظيمي للجماعة من خلال ادعاء الأفراد المنتمين اليها بأن أنسابهم تعود الى الجد المؤسس مما يخلق روابط لا يمكن التنصل منها تُعرف ***بروابط الدم*** ***''Blood relationship''***[15]. وهو نفس ما قدمه ابن خلدون في فكرتي العصبية والوازع.

الشكل 01: انتقال الكيانات المجتمعية الى لعب دور الجماعة التحت-وطنية من خلال انتقال الولاءات



---

[14] - Encyclopaedia Britanica, *''Elman Rogers Service AMERICAN ANTHROPOLOGIST.'* https: //global.britannica.com/biography/Elman-Rogers-Service (1-12-2007).

[15] - John A.Shoup, *Ethnic Group of Africa and Middle east*, An Encyclopedia(California: ABC-CLIO,2011).xiv

المصدر: الشكل من اعداد الباحث لتوضيح علاقة الجماعة التحت وطنية بعملية انتقال الولاءات وصياغة مطالبها.

1- المفهوم السياسي الحديث لفكرة " الوازع" وإسقاطاتها على الأدوار الجديدة للدولة
فكرة الوازع في شقها المادي يصنفها ابن خلدون في مظهر الغلبة والسلطان واليد القاهرة، بمعنى سلطة الحكم أو الدولة. (كما سبقت الإشارة)، وبالتالي فإن إسقاطاتها على أدوار الدولة الحديثة بمفهومها الوطني يستلزم الدلالة على مجموعة من المسارات والعمليات التي تستهدف بناء دولة تحضي بالسلطة القهرية والقدرة على تسيير شؤونها العامة، وتنظيم المجتمع الذي يكون تحت سلطتها و ذلك من خلال:

-**أولا: عملية بناء الدولة**: و هي عملية تستهدف تطوير مؤسسات الدولة، قدرتها الوظيفية، و شرعية قراراتها، و دورها التمثيلي و الرقابي [16]، وذلك من أجل التفاوض على تبادل المطالب بين الدولة و الجماعات المكونة للمجتمع، و جعلها مصدر الشرعية في كل مخرجات الممارسة التنظيمية والتسييرية للدولة. في هذا الإطار، يأتي التعريف الذي طرحه **"فرانسيس فوكوياما "** لعملية بناء الدولة باعتبارها أول مسار في طريق عملية بناء هذه السلطة القاهرة، ففي كتابه **"بناء الدولة: الحكم و النظام الدولي في القرن الواحد و العشرين/ *State building: Governance and world order in the Twenty-first century"*** حيث يعرفها على أنها: " عملية انشاء مؤسسات سلطوية أو هي عملية تمكين المؤسسات الموجودة"[17].

وبالتالي فإن التعريف الذي طرحه فرانسيس فوكوياما، و غيره من المفكرين - على غرار **"جوردي *روشيليو" Jordy Rocheleau*** " - ركز بشكل أكبر على الجانب السلطوي للدولة، ومنه فإن عملية التأسيس عليها أن تراعي هذا الجانب، فحسب هذا التعريف، لا يكفي وجود مؤسسات غير ممكنة من أداء دورها السلطوي ان تساهم في عملية بناء الدولة. و بالتالي تقتضي عملية تمكينها استهداف دورها السلطوي و تمكينه هو الأخر. حتى يمكن الحديث عن عملية بناء الدولة بشكلها المكتمل، فحسب "روشيلو" تعبر عملية بناء الدولة كاملة فقط في حالة بناء مؤسسات غير عاجزة عن اداء مهامها[18].

-**ثانيا: بناء السلم: *(Peace building).***
من حيث المدلول الرئيسي للسلم هو " غياب العنف داخل المجتمع "، وهذا ما تجمع عليه نظريات الأمن التقليدية، لكن بتطور التحدي الأمني الذي يواجه المجتمعات أصبح هناك اتجاه قوي نحو ربط مفاهيم التنمية والمشاركة السياسية بمفاهيم الأمن و بناء السلم داخل المجتمعات والدول. خاصة لدى الواقعيون الجدد على غرار **"باري بوزان"** الذي جاء بمفهوم **"اعادة مفهمة الأمن"** أو ***' Reconceptualization of Security'***'، و أيضا لدى

[16] -Susy Nadaruhuste, ''State_Building and Service delivery in fragile and conflict affected States'', *Literature Review* , Final Report, (13th May2011).p.7
[17] - Francis Fukuyama, *State building : Governance and world order in the Twenty-first century''*,(London : Profile book;2004).p.11
[18] - Jordy Rocheleau, Ethical principles for State_building: State-building and the end of war, Colloquium Report, October2008.p.8

انصار فكرة **"السلام الديمقراطي"** على غرار "ايمانويل كانط". و بالتالي اصبح الحديث لدى المدارس الأنغلوساكيونية يشمل بناء السلم بنوعيه: **(سلم سلبي)** ***negative peace-building***، و الذي يقصد به اختزال مفهوم بناء السلم في غياب العنف و يتجاهل بذلك البنى الأخرى التي قد تكون مصادر للعنف المجتمعي، كالإقصاء السياسي و الاجتماعي، الفقر، القمع. ..الخ. أما النوع الثاني والذي هو بناء **"السلم الإيجابي**[19]**"** ***positive peace-building***، و الذي يبزر فيه التناغم والتجانس المجتمعي مدعوما بالتنمية الاقتصادية و المؤسسات السياسية القادرة على إدارة التغيير و ايجاد حلول للخلافات دون الرجوع للصراعات العنيفة.

من جهة أخرى، فإن بناء السلم يعد ثاني أهم خطوة كونها تعبر عن البعد الوظيفي للخطوة السابقة (بناء الدولة و مؤسساتها). حيث تعد عملية بناء السلم، بمثابة المعيار والمؤشر لمدى نجاح المسار الهيكلي السابق لها من عدمه، و ذلك من خلال اخضاع قوة المؤسسات وصلابة شرعيتها لتحدي بناء السلم (بمعنييه: الإيجابي، والسلبي). و يكون ذلك بدوره جزء للمسار التالي في عملية البناء الديمقراطي و مقدمة له في نفس الوقت، و المتمثل في **عملية بناء الأمة.**

-ثالثا: عملية بناء الأمة حسب الأبعاد الوطنية الجامعة للاختلافات التي تحويها دولة:

يقصد ببناء الأمة هي السياسة المتبعة من أجل خلق إحساس عام بالهوية القومية، وشعور الأفراد بالانتماء للأمة والنظام السياسي الراعي لها. و قد يصطدم هذا المفهوم بمفهوم الوطنية في المجتمعات المتعددة القوميات، على غرار أفغانستان، العراق، الهند..الخ، و بالتالي أصبحت عملية بناء الأمة في أدبيات الفكر السياسي الحديث، لها ارتباط متين مع الأبعاد الوطنية الجامعة للاختلافات التي تحويها الدول. ومن أمثلة ذلك ما حدده قسم التنمية الدولية، التابع للحكومة البريطانية، و الذي يعد الكثير من الدراسات و التقارير، تتمحور جلها حول مسار بناء الدول اعتمادا على البعد المجتمعي والأبعاد المرتبطة بالسلم والتنمية؛ ***(DFID) Departement for International development***، من خلال وضع أربعة أركان لعملية بناء علاقات مجتمعية قوية، و هي:

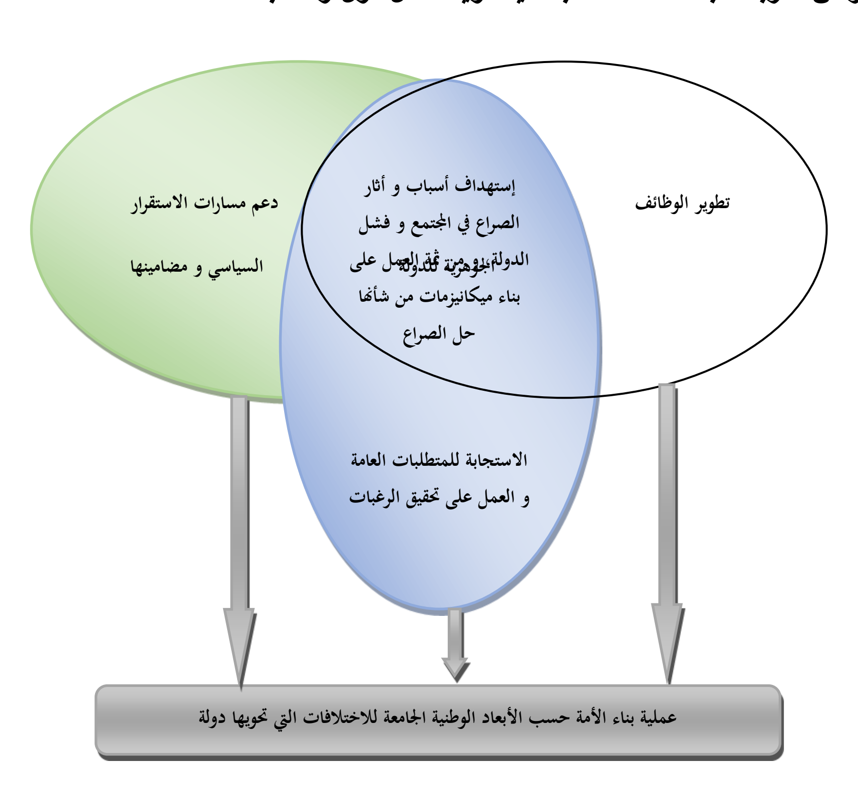
- **استهداف أسباب و أثار الصراع في المجتمع و فشل الدولة**، و من ثمة العمل على بناء ميكانيزمات من شأنها حل الصراع: و يقصد به توفير نظرة ترمي إلى تحليل محتويات الصراع المجتمعي و مسبباته، و من ثمة تسخير قطاعات الدولة المهمة لإذابته (كإقامة نظام تعليمي في الدولة يشجع على التسامح و قبول الاخر ضمن الاطار الوطني). كما يتعدى هذا الى استهداف الأبعاد الإقليمية للصراع و المغذية له.
- **دعم مسارات الاستقرار السياسي و مضامينها:** يقصد بدعم مسارات الاستقرار السياسية، هو أن تكون القوة السياسية و الاقتصادية في حالة تنظيم، أما دعم مضامينه فيكون من خلال ما يوفره المسار السلمي للنهوض بعملية بناء الدولة من نوافذ عديدة لفرص اعادة صياغة شكل الاستقرار الموجود، و من هنا وجب دعم هذه المسارات اختصارا للوقت و التكلفة في المضي نحو اقامة بناء ديمقراطي.
- **تطوير الوظائف الجوهرية للدولة:** و التي هي؛ الأمن، العدالة وفرض القانون، التمويل و تنظيم الاقتصاد، و تطويرها يكون بجعلها تشمل كل المناطق التي تمثل إقليمها و ترقية نوعية خدماتها.
- **الاستجابة للمتطلبات العامة و العمل على تحقيق التوقعات المجتمعية:** قدرة الدولة على تأدية تطلعات مواطنيها من أجل الحفاظ على شرعية سلطتها و استقرارها، و اكتساب مشروعية في ذلك.

---

[19] - DFID. Practice Paper, Building peaceful states and societies, (U.K. : Departement for International Development,2010). P.14

الشكل التالي يوضح الأركان الأربعة السابق ذكرها، و التي حددها قسم التنمية الدولة **DFID**، التابع للحكومة البريطانية في ورقة عمل تم صياغتها بهدف ايجاد مقاربة جامعة من شأنها وضع كل من عملية بناء الدولة وعملية بناء السلم كمقدمات لعملية البناء الديمقراطي.

الشكل02: الأركان الأربعة لبناء علاقات مجتمعية قوية داخل دول و المجتمعات



المصدر: D.F.I.D. departement for international development, practice paper, U.K.2010

4. الخارطة الإثنية للجماعات التحت-وطنية ونماذج لأدوار العصبية على الدولة الوطنية في الشرق الأوسط

أ-الأقلية العربية كجماعة تحت-وطنية في الشرق الأوسط (إقليم الأحواز في إيران نموذجا):

منطقة الأهواز أو عربستان أو خوزستان حسب التسمية الفارسية، إقليم يقع شمال غرب إيران بمساحة تقارب 64 ألف كم مربع،، وأغلب سكانه من العرب الشيعة (3% من مجموع سكان إيران[20])، ويُرجح أنَّ أسلافهم قدموا إليها في هجراتٍ كثيرة ومتباعدة. وحظيت تلك المنطقة باهتمام عربي لعقود قبل أن تخرج من دائرة الاهتمام بسبب مشاكل العمل العربي المشترك.

---

[20] - *Soulèvements arabes en Iran*, http: //iran.blog.lemonde.fr/2011/04/20/soulevements-arabes-en-iran/20/04/2011.

يقع إقليم منطقة الأهواز شمال غربي إيران بمحاذاة الحدود العراقية ويمتد جنوبا، وأغلب سكانه من العرب وتُصنفه منظمة الصحة العالمية من أكثر مناطق العالم تلوثا.[21]

ويأتي تصنيف الأقلية العربية في منطقة "أهواز" على أنها جماعة تحت–وطنية لما تتميز به من خصائص انتقال لولاءاتها على حساب الولاء للدولة الإيرانية، وذلك لما تعاني منه هذه الأقلية من طمس لهويتها وتاريخها، وسياسات القمع والاقصاء التي يمارسها النظام الإيراني تجاهها، وذلك بدءا من حالة الفقر والتهميش وانعدام الهياكل القاعدية بها رغم ما تزخر به من ثروات معدنية، حيث أن منطقة الاحواز أو " عربستان" تمثل أهمية جيوسياسية، واستراتيجية بالنسبة لإيران في لعب دور الإقليمي كما تكتسي أهمية اقتصادية كبيرة بما تحتويه من ثروات معدنية كالبترول والغاز، وأيضا امتدادها على الساحل البحري للخليج. حيث توفر هذه المقاطعة 80% من مصادر البترول الايراني، و60 % من مصادر الغاز، 34% من الحديد والصلب، 30% من حاجيات الدولة من المياه (خاصة نهر كارون)، 46% من موارد السكر، و80% من الطاقة الهيدرو–كهربائية التي تحتاجها إيران، لكن بالمقابل فإن منطقة الأحواز تتميز بأنها المقاطعة صاحبة ثاني أكبر نسبة من البطالة في البلاد والذي يرتفع بنسبة 8% من المعدل العام للبلاد[22].

فمنذ أن بسطت إيران نفوذها على منطقة الأحواز في 20 أفريل/نيسان 1925، أُلغي الحكم العربي على تلك المنطقة التاريخية –بالنسبة للعرب– والتي كانت تعتبر بمثابة البوابة الشرقية للمنطقة العربية ككل.

ومن هنا، فبالرجوع إلى منهج ابن خلدون وتطبيقه لفهم انتقال المكون العربي في ايران إلى جماعة تحت وطنية لها ولاءات متعارضة ومتجاوزة للدولة الإيرانية بمنطقها الحديث، فإنه يمكن القول أنه يوجد عاملين جعلا من حالة الشعور بعدم الانتماء تتفشى لدى الأقلية العربية وهما:

- **أولا:** تنامي العصبية القومية للعرق الفارسي، والراغبة في إعادة أمجاد الإمبراطورية الفارسية وما يرتبط بها من تراث مادي تمثله الأرض والامتداد الجغرافي والبحري، فكانت القومية العربية على غرار باقي القوميات كالبلوش والأكراد..أول ضحايا هذه العصبية الفارسية، وهذا منذ الوجود البريطاني في المنطقة، حيث تنقل الدكتورة **مي محمد آل خليفة** عن السير ***أردون ويلسون*** في كتابها ***"سبز آباد ورجال الدولة البهيّة"*** قوله عن علاقة العرب في منطقة "المحمرة" أو "خرمشهر" بالسلطة المركزية الإيرانية. أنها غير طبيعية. و يؤكد بان تلك السلطة تحمل الكراهية الشديدة للعرب، وكذلك للأجناس الأخرى من آشوريين و بلوش و أفغان[23] ." وهذه السياسة لاتزال منتهجة حتى بعد ما سمي بالثورة الاسلامية في إيران بقيادة آية الله العظمى الخميني، ومنه تحولت العصبية من إطارها القومي التاريخي إلى العصبية الدينية، رغم أنه هناك تحليلات أخرى ترى ان إيران بعد الثورة التي شهدتها على نظام الشاه أنها لم تتخلى عن توجهاتها القومية في تعاملها تجاه بقية القوميات الأخرى، بل أضافت لها التعامل من منظور الطائفة بحكم تمكن رجال الدين والملالي من السلطة في إيران، وأصبح الحل والربط في كل ما يتعلق بالسياسة الإيرانية داخليا وخارجيا بيد رجال الدين والولي الفقيه.

---

[21] –http: //www.aljazeera.net/encyclopedia/citiesandregions/2015/12/27.

[22] –Seeking Rights to cultural Identity : The Deathly struggle of Ahwazi Arab activists. Report of Justice For Iran. February 2013.p.6

[23] – مي محمد آل خليفة، *سبز آباد ورجال الدولة البهيّة*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (عمّان)، 1998، ص.191.

- **ثانيا:** العصبية الدينية ودورها في إصباغ القداسة لإعادة التراث الديني الذي مثلته الإمبراطورية الصفوية، حيث تعالت الفتاوى لاحتلال الأرض الأحوازية خاصة من قبل بعض العلماء الشيعة على غرار ***الميرزا محمد حسين ناعيني*** وكذلك ***أبو الحسان أصفهاني*** اللذان لعبا دور مهم في قيادة الرأي العام الشيعي لاحتلال الأحواز. رغم أنهم كانوا على علاقات جيدة مع الشيخ "*خزعل*" أمير "عربستان" إبان الاحتلال البريطاني، إلا انهم قد انقلبوا بموقفهم عليه، ووقفوا إلى جانب رضا شاه، و اصدروا في أكتوبر من عام 1924 م، فتوى تحمل توقيع 18 عالما دينيا إلى جانب آية الله السيد أبو الحسن الأصفهاني و أية الله النائيني يعلنون فيها تأييدهم لإجراءات رضا شاه ضد الشيح خزعل، معتبرين أن إطاعة رضا خان واجبا شرعيا ومما جاء في رسالة الفتوى:

"أنه يجب حفظ الساحة الإسلامية من الفرقة والتشتت وحفظ المملكة الإسلامية من الانفصال و التشرذم، لأن بقاء الإسلام وديمومة مذهب التشيع "الحنيف" مرهون ببقاء المملكة (أي ايران الملكية) و بقوة وعظمة الدولة و وحدة كلمة الأمة، لذلك فان أولئك الذين يسعون إلى شق عصا المسلمين و يدعون إلى تجزئة المملكة الإسلامية(ايران) أنما اصبحوا أداة بيد الأجنبي يتحركون خفية وعلانية من قبل الدول الاستعمارية لتهديد استقلال المملكة.... و يستلون سيوفهم من اجل دعم سياسة الأجنبي، ويهددون الأمن والاستقرار... فانهم في الحقيقة يقطعون جذور الإسلام و هم بالتالي أعداء الدين والمذهب و يحاربون صاحب الشريعة.. " [24].

كما هناك من الأحزاب المؤثرة من السياسيين والمفكرين والزراد شتيين من إيران والهند الذين كانوا يعملون في حكومة شركة الهند الشرقية. الناس مثل ***أردشير تشي، وأرباب كيخوسرو***، فضلا عن المفكرين العنصريين مثل ***محمود أفشر*** و***كاظم زاده إيرانشهر***.

اللذين دعموا احتلال منطقة الاهواز، كما أنه ليس من قبيل المصادفة أن تؤدي هذه الأحزاب نفسها دورا رئيسيا في احتلال العراق 2003.[25]

من مظاهر تحول الأقلية العربية في إيران إلى جماعة تحت-وطنية تتميز بعصبياتها (ولاءاتها) المتجاوزة للدولة الوطنية، هو ما تحمله من مطالب تسعى من خلال تحقيقها تعميق هذا التمايز بينها وبين التوجه العام للدولة الإيرانية، بحكم شعورها بعدم الانتماء لها نتيجة الممارسات والسياسات المنتهجة من قبل النظام الإيراني تجاهها، وبالمصطلح الخلدوني فإن السلطان القاهر أو الوازع المتمثل في النظام الإيراني يعمل بالنقيض مع العصبيات (الولاءات) التي تتقوقع داخلها الأقلية العربية في إيران، لذا فبتطبيق فرضية الدراسة في تصنيف الجماعات التحت-وطنية من خلال متغيري الولاءات (العصبية)، والوازع، فإن المطالب التي حددها ***جاكوب ليفي*** في الصراعات الإثنو-ثقافية كلها متوفرة لدى الأقلية العربية في منطقة الاحواز، وهي كالآتي:

-لا تعايش مجتمعي وعدم التمثيل السياسي: تتميز العلاقات بين الأقلية العربية وباقي المكونات الموالية في عصبيتها للنظام الإيراني باللاتعايش المجتمعي، مما جعل الأقلية العربية تعاني من التهميش والإقصاء المجتمعي

---

[24] – جابر أحمد، شيخ خزعل أمير عربستان – الأهواز – وذاكرة المؤرخين http://www.ahwazstudies.org/Article.aspx?aid=501/2012

[25] –Mohammad Nawaseri, Iran and Obscurities of the Demographic Distribution in Ahwaz, February 2007, Translated by Selma Ahwazi 2008.07.06.(1-9).

في لعب دور فاعل والمشاركة في الحياة العامة في إيران، ويمكن الاستدلال على هذا من خلال دراسة حجم التمثيل السياسي لسكان منطقة الأحواز في المناصب السياسية والعسكرية في الدولة الإيرانية، و الذي يكاد ينعدم إلا مع استثناءات قليلة لبعض العرب الشيعة على غرار قائد الحرس الثوري الإيراني ***محسن رضائي*** الذي شغل مناصب عدة منها أمين مجمع مصلحة تشخيص النظام، أو الأدميرال **علي شمخاني** (وهو عربي من سكان الأحواز) قد تولى منصب وزير الدفاع في حكومة رفسنجاني الأولى وحكومة خاتمي الثانية من 19 أغسطس 1997 حتى 27 اغسطس 2005،و كذلك الأمين العام للمجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني. وهو اليوم شخصية مقرّبة جداً من الرئيس الإيراني حسن روحاني[26].

-**الحكم الذاتي**: أدى شعور الأقلية العربية بالتمايز عن بقية الأطر السياسية والاجتماعية المكونة للنظام الإيراني، إلى مطالبة الكثير من التنظيمات السياسية والاجتماعية إلى الانفصال عن الدولة الإيرانية، مما يجعل من الأقلية العربية تنأ بعصبياتها (حسب التعبير الخلدوني) عن فكرة الذوابان في الكيان الإيراني بحدوده السياسية الحديثة، واعتبار تبعية الأراضي الأحوازية إلى السلطة الإيرانية بالاحتلال الذي يجب التخلص منه. وعلى سبيل المثال هناك العديد من المجموعات الأحوازية التي تنشط في هذا المجال منها:

- الحزب الديمقراطي الأحوازي الذي تأسس عام 1998.
- المنظمة الإسلامية السنية الأحوازية: هي منظمة أحوازية عربية ذات توجه إسلامي، هدفها تحرير الأحواز مما تعتبره احتلالا من قبل إيران لها، لها وجود ميداني وإعلامي بارز في الساحة الوطنية الأحوازية.
- جبهة تحرير عربستان: تأسست عام 1956، وآمنت بالكفاح المسلح ضد ما تعتبره الاحتلال الإيراني، ومارست أنشطة سياسية وإعلامية متنوعة. واستمرت في الكفاح تحت اسم منظمة الجبهة الوطنية لتحرير عربستان، بعد اضطهاد أعضائها وإعدام قادتها الرئيسيين.
- الحزب الديمقراطي الأحوازي: بدأ كفاحه عام 1998.
- حركة النضال العربي لتحرير الأحواز.
- الجبهة الشعبية لتحرير الأحواز: تأسست عام 1968، وقامت بعمليات كثيرة وأصدرت عام 1971 صحيفة الأحواز.
- الجبهة الديمقراطية الشعبية الأحوازية.
- حزب التضامن الديمقراطي.
- منظمة تحرير الأحواز.

-**القواعد الحامية للثقافة:** تطالب الأقلية العربية الحكومات الإيرانية المتعاقبة بسن قوانين تمكنهم من المحافظة على هويتهم الثقافية واللغوية، من خلال السماح لهم بتسمية أبناءهم بأسماء عربية، والسماح بتدريس اللغة العربية في منطقة الأحواز والزي العربي، حيث أنه هناك الكثير من الناشطين في الحركة الأحوازية يدّعون بأن هناك قمع ممنهج من قبل النظام الإيراني لسلخ الأحواز من هويتها العربية وممارسة سياسة شاملة " لتفريس" المنطقة، بدءا من تغيير أسماء المدن والشوارع أو اقتطاع أجزاء منها وإلحاقها إداريا بمحافظات أخرى، وليس انتهاء بتهجير السكان العرب ونقلهم إلى مناطق متفرقة من إيران وإحلال محلهم العنصر الفارسي، فعلى سبيل المثال لا الحصر يمكن اقتباس ما أدلى به الأمين العام للجبهة العربية لتحرير الأحواز **محمود بشاري الكعبي** لجريدة الرياض في عددها 15645 بتاريخ 25 ابريل 2011، قوله: ***" توجد لدى الجهات الإيرانية قائمة بالأسماء المسموح أن***

---

[26] – ملهم الملائكة، *خوزستان أم عربستان؟ عرب إيران والبحث عن الهوية*، http: //www.dw.com/ar/، 2014/05/17

نسمي أبناءنا عليها... فمثلا ممنوع أن نسمي مواليدنا بأسماء مثل (عمر، القعقاع،ابوبكر، خولة، خالد، عثمان، عائشة، حفصة، هند، سفانة) وكل ما يتعلق بالأسماء العربية التي تحمل رموزاً تاريخية عربية شامخة،...كما يمنع علينا ارتداء الزي العربي (الغترة والعقال) والبشت العربي وحتى ممنوع ان نتعلم وندرس اللغة العربية وهذا خط احمر في وسائل تعليمهم، وكذلك ممنوع علينا إقامة طقوس تاريخية أو إسلامية ذات دلالات عربية... تم تغيير اسماء المدن العربية واسماء الشوارع التي كانت تحمل اسماء عربية الى اسماء فارسية بحتة وهذا معلن ومعروف، وهذا يدل على محاولة طمس الهوية العربية واستهداف كل ما هو عربي والغاؤه من جذوره، علما بأن القبائل والعشائر الأحوازية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقبائل العربية الأصيلة مثل (بني كعب، بني تميم، وكنانة، أوس وخزرج، وطي وشمر وعنزة والدواسر وهكذا) لازالت عشائر عربية متمسكة بأصولها وجذورها رغم الاضطهاد..."[27]

-بالإضافة إلى المطالب الأخرى والمتمثلة كضمان تمثيل لها في مؤسسات الدولة، وفي هذا الصدد يصعب إيجاد إحصائيات رسمية عن حجم مشاركة المكون العربي في مؤسسات الدولة في إيران من جيش وقضاء ومجالس محلية.

ب-الدور السياسي للجماعة التحت-وطنية الدينية في الشرق الأوسط

- المكون الشيعي في البحرين كجماعة تحت-وطنية (نموذج).

مملكة البحرين على غرار بقية الممالك الخليجية التي تحتوي على العنصر الشيعي في تركيبتها الاجتماعية، تحتل فيها العصبية الطائفية والانقسام السني/الشيعي أهمية اجتماعية وسياسية بارزة. مع الإشارة إلى أن علاقات الطائفة الشيعية بالسلطات والأنظمة الحاكمة في منطقة الخليج تتباين من دولة للأخرى تبعا لعدة متغيرات: منها على سبيل المثال كيفية نشأة الدولة، وكذلك حجم المشاركة السياسية، والتمثيل في مؤسسات السلطة، إضافة إلى مدى التوزيع العادل للثروة وضمان الحقوق الكفيلة بخلق المساواة بين كل المكونات بهدف تعزيز مكانة الدولة الوطنية ودورها الوظيفي. هذا من جهة، ومن جهة أخرى أثر التطورات الإقليمية التي شهدتها منطقة الخليج منذ الانسحاب الإنجليزي ودوره في إذكاء سياسة **"فرق تسد"**، وخلق كيانات دينية وقومية لتفتيت الوجود العثماني والعمل على اتجاهين: تارة بدعم أقليات الإثنية وزرعها في جسد الدولة الوطنية حتى تبقى كشوكة في حلق هذه الأخيرة، وتارة بالمساومة بها من أجل الحصول على مكاسب سياسية واستراتيجية مع القوى الإقليمية في المنطقة. لتشهد بعد ذلك منطقة الخليج تطورات مست مباشرة النعرة الطائفية والمذهبية في مختلف الدول التي تحتوي على مثل هذا التنوع، على غرار الحدث الأبرز في هذا الشأن، والمتمثل في نجاح ثورة الخميني في إيران 1979، وما تلاه من توجه جديد للسياسة الإيرانية في المنطقة وشعاراتها المتمثلة في مشروع تصدير ثورتها ومبادئها في حماية المستضعفين في وجه "الاستكبار" العالمي والذي من أوجهه التحالف الخليجي الأمريكي في مسألة أمن الخليج، وكذلك الصعود الإقليمي لدور إيران بعد سقوط نظام صدام حسين في سنة 2003 وتمكن الطائفة الشيعية من تولي مقاليد السلطة في هذا البلد الذي لطالما اعتبره العرب ومعه الممالك السنية على أنه الحائط الشرقي في وجه الأطماع الإيرانية "الفارسية".

وآخر هذه الأحداث المؤثرة إقليميا، هو الحراك العربي الذي بدأ من تونس في ديسمبر 2010 وما لبث أن انتشر في مختلف الدول العربية وصولا إلى سوريا والبحرين أين اكتسى هناك صبغة طائفية بدرجات متفاوتة بشكل

---

27 - محمود بشاري الكعبي، "الأحواز.. أرض عربية لا تتكلم العربية!"، حوار من طرف علي القحيص. جريدة الرياض، 25 ابريل 2011، العدد 15645.

يجسد مفهوم الجماعة التحت–وطنية وما يرتبط بها من عمليات انتقال الولاء وغيرها من المطالب المرافقة لهذا الانتقال.

–كيف تحولت الأغلبية الشيعية في البحرين إلى جماعة تحت–وطنية؟

ما يمكن ملاحظته في هذا الإطار هو غياب الإحصائيات الدقيقة التي تبرز التنوع الذي تخر به منطقة الخليج من انتماءات دينية ومذهبية، نظرا لحساسية العلاقات التي تميز المنتمين لكل مذهب ديني و هذا بفعل القوى الإقليمية التي تستخدم هذا العامل للتأثير

في الدول الأخرى خاصة من قبل المملكة العربية السعودية و الجمهورية الإسلامية الإيرانية، كقطبين دينيين مؤثرين في المنطقة، مما جعل التخوف من التركيبة السكانية والتجانس المجتمعي شغل شاغل للدوائر الأمنية الخليجية، خوفا من انتشار المد الشيعي في دولها خاصة بعد انتصار الثورة الإيرانية، و بروز إيران كدولة حاملة لشعار "الدولة الحامية للمستضعفين في الأرض" من خلال العباءة الدينية الشيعية، و كذلك بعد العدوان الأمريكي على العراق الذي زال بفعله ميزان القوى في المنطقة، و تراجع مكانة العراق العسكرية لصالح إيران، مما جعلها في مواجهة مباشرة مع دول مجلس التعاون الخليجي خصوصا و أن إيران الدينية لها مراكز نفوذ تاريخية داخل هذه الدول، بسبب الأقليات الشيعة التي تحويها أغلب دول الخليج، ففي البحرين التي تعتبرها إيران امتداد تاريخي و جغرافي لها يوجد بها ما بين 60و80 %من السكان الشيعة، حسب تقرير" الحرية الدينية في العالم "الصادر عن وزارة الخارجية الأمريكية في2006 ، و من بين هؤلاء يوجد من هم من أصول فارسية، وهندية و يقدر عددهم ما بين 25 و30% ،في حين أن الشيعة العرب هم الغالبية العظمى. في حين تقدر الإحصائيات الغير رسمية أن تعداد الشيعة في البحرين بين 65 إلى 70% من إجمالي تعداد السكان البالغ عددهم 1.2 مليون نسمة من مواطنين ومقيمين.[28] يخضعون لحكم العائلة المالكة السنية المتمثلة في حكم آل خليفة، وباقي السنة الذين يتبوؤون المناصب الحساسة في الدولة، لكن على الرغم من ذلك فإن الإشكال في تصنيف الطائفة الشيعية في البحرين على الرغم تفوقها العدد على أنها جماعة تحت وطنية لا يأتي من منطلق العدد أو من أن الأقلية السنية هي من يسيطر على الحكم في هذه الجزيرة الصغيرة، وإنما يرجع للعوامل التي جعلت من الشعور بالعصبية والتمايز الديني سمة غالبة في علاقة العائلة الحاكمة "السنية" بالطائفة الشيعية الممثلة في اغلبية الشعب البحريني "البحارنة"، بدءًا بالاتهامات التي تلصق بممارسات السلطة في البحرين وغيرها من دول الخليج في التهميش السياسي الممارس في حق المكون الشيعي، ضمن ما اصطلح عليه بتعبير **"الشمولية الدينية السنية"**[29] –وهو المصطلح الذي أطلقه مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية الأسبق **"جيمس وولسي"**، لوصف محاولات الحركات الراديكالية بسط سيطرتها على دقائق الأمور الحياتية اليومية للمسلمين من جهة، وطموحاتها في النفوذ على المستوى العالمي من جهة أخرى، ومعارضتها لأية محاولة للمشاركة السياسية ضمن الأطر الديمقراطية المعترف بها محليا ودوليا هذا من جهة، ومن جهة أخرى، الدور الإيراني في تأجيج هذا التمايز من خلال التوجه الجديد للسياسة الخارجية الإيرانية في دعم الأقليات الشيعية في دول الخليج وخاصة البحرين وآخرها كان موقفها الرافض لمبادرة الوحدة السعودية البحرينية 2012 التي دعت إليها المملكة العربية السعودية، و التي تحمل اسم **"الاتحاد الخليجي العربي "**وهي خطوة أراد من خلالها العاهل السعودي السابق **"الملك عبد الله بن عبد العزيز "**الارتقاء من مرتبة التعاون إلى مرتبة الاتحاد، والتي قوبلت برفض إيراني صارخ ترجمته تصريحات المسئولين الإيرانيين على غرار" **علي**

---

[28] Laurence Louër, LE BAHREÏN, MAILLON FAIBLE DU GOLFE, CERI-Sciences Po, Septembre 2011, http://www.ceri-sciences-po.org p.1-3.

[29] – كورتين وينزر،السعودية والوهابية وانتشار الفاشية الدينية،ميدل ايست مونيتر Middle East Monitor، عدد جويلية 2007.

لاريجاني"رئيس مجلس الشورى الإيراني، و" **رامين مهمنبرست** "المتحدث باسم الخارجية الإيرانية أنداك الذي صاغ موقف إيران من هذه الوحدة و غيرها من المشاريع بقوله: "نحن ننصح قادة البحرين بتغيير نهجهم وبعدم تعقيد الوضع بمشاريع مماثلة. فبعد استفتاء الشعب البحريني على استقلاله و إقامة دولته المستقلة بعد الانسحاب البريطاني في عام 1971 و إيران لا تنفك عن الإشارة من فترة لأخرى حول تبعية البحرين التاريخية لها وأنها جزء من التراب الإيراني، فتاريخيا كانت البحرين واقعة ضمن حكم الدولة الصفوية إلى غاية 1783 م، واستمرت هذه النظرة حتى إعلان استقلال البحرين في أوت 1971 م بعد استفتاء شعبي أشرفت عليه الأمم المتحدة، بناء على اتفاق بريطاني إيراني على استقلال البحرين مقابل سيطرت إيران على الجزر الثلاث المتنازع عليها بينها وبين الإمارات، و مجيء الثورة الإسلامية لم يغير شيء في أطماع إيران في البحرين.[30] فهي تعتبر هذه الجزيرة ذو أهمية استراتيجية بالنسبة لها وعليه فقد ركزت في سياستها تجاه هذه الجزيرة بعد الثورة على **الوازع الديني** باعتبار أن أغلبية من السكان من الطائفة الشيعية، فالتوجهات الجديدة للسياسة الخارجية الإيرانية تجاه الجوار الإقليمي أصبحت تعتمد على البعد الإيديولوجي إضافة إلى المحددات الأخرى، كما أدى قيام مجلس التعاون الخليجي1981 دخول البحرين ضمن هذا التكتل العربي إلى تعميق الخلافات السياسية بين الحكومة البحرينية و إيران على اعتبار أن السعودية تحاول فصل جزء مهم من التراب الإيراني لتضمه إلى سلطتها، و لطالما أدت هذه الادعاءات الإيرانية إلى تأزم علاقات إيران مع كل دول مجلس التعاون الخليجي حيث أن قضية البحرين تأخذ بعدا خليجيا يشمل كل دول المجلس وقد برز ذلك في أحداث 1981 و التي اتهمت فيها إيران بتأسيس أحزاب ودعمها لقلب نظام الحكم على **غرار" الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين "** بزعامة **هادي المدرسي** في بداية الثمانينات و غيرها من التنظيمات التي تنشط بدعم إيراني ك**حزب الله البحرين**، و **حركة أحرار البحرين الإسلامية**[31]، و قد تجددت هذه الاتهامات في أحداث فيفري 2011 و التي خرج فيها شيعة البحرين في مظاهرات لتغيير شكل النظام السياسي و المطالبة بملكية دستورية تحكم فيها الأغلبية الأقلية و ليس العكس فما كان من دول مجلس التعاون الخليجي إلا إرسال" **قوات درع الجزيرة** "لحماية النظام البحريني موجهين الاتهامات لإيران بدعمها المعارضة الشيعية التي تنبثق منها **جمعية الوفاق الإسلامية**. مما اعتبرته الدول الخليجية تدخلاً في الشؤون الداخلية للبحرين و استغلالها في ذلك وجود شارع مجيش منذ خمسينيات القرن الماضي و قابل للحراك السياسي[32].

بالمقابل فإن الحديث عن تحول الأغلبية الشيعية في البحرين إلى جماعة تحت-وطنية "حسب فرضية الدراسة" راجع كذلك إلى سياسات الإقصاء و التهميش للشيعة البحرينيين من تولي مناصب حساسة في السلطة وقيادات الجيش. فأصبحت مطالب فصائل من المعارضة البحرينية لا تخرج عن حزمة المطالب المشار إليها سابقا حسب ما حددها جاكوب ليفي من مطالبة بالحفاظ على الهوية، والتمثيل في المؤسسات السياسية والتمثيلية للدولة، والمطالبة بقوانين حامية من قبل سلطة شرعية وغيرها...

الخاتمة: إن الحديث عن مفهوم العصبية في السياق الذي طرحه ابن خلدون باعتبارها النعرة المستلزم توفرها لإقامة الغلبة وتأسيس الدولة، تتصادم مع المفهوم الحديث "للسلطان" مع بروز الدولة الوطنية التي تحتوي بين حدودها عصبيات قومية وثقافية ودينية..وغيرها من التقسيمات، و التي اصلحت عليها الدراسة باسم الجماعات

---

30 – قسم البحوث و الدراسات الجزيرة، العلاقات البحرينية الإيرانية من التدهور إلى التحسن، الدول العربية و إيران الثورة، منتدى الوحدة العربية، فيفري 2007،ص9

31 – http: //www.siyassa.org.eg/NewsContent/2/132/2491

32 –علي محمد فخرو، انعكاسات التحركات العربية من اجل الديمقراطية على البحرين، منتدى التنمية: معالم النظام الديمقراطي المنشود في دول مجلس التعاون، دبي، 19 جويلية 2011. ص 3.

التحت–الوطنية، وذلك من خلال ربطها بالوظيفة التي تؤديها النعرة المرافقة لهاته الجماعات ألا وهي المناصرة والمعاضدة حسب تعبير ابن خلدون، حيث أصبحت متغيرات الولاء هي التي تحدد علاقة العصبيات المختلفة التي تحتويها الدولة الحديثة مع السلطة الحاكمة، ومن جهة أخرى فإن الوازع المادي بمفهومه الحديث أصبح يحمل المدلول الوظيفي للدولة ومدى قدرتها على أداء دورها التنظيمي في خلق بيئة مناسبة لجمع كل المكونات الاجتماعية في كيان واحد يكون مركز تجمع كل الولاءات الوطنية حسب أدبيات العلوم السياسية. كما أن التمازج بين أدوار العصبية والوازع بمفهومه السياسي الحديث المطابق لفكرة الولاءات المختلفة للجماعة التحت–وطنية وما يتحكم بها من ممارسات السلطة في الدولة الحديثة، يقود إلى تحديد مدى قوة الدولة على مستوى جبهتها الاجتماعية و مؤسساتها السياسية، وفي هذا الإطار تقدم نماذج المجتمعات في منطقة الشرق الأوسط وتنوع عصبياتها أمثلة واضحة لانتقال الولاءات من مستوياتها الوطنية إلى ما دون ذلك لصالح الولاء القبلي والعرقي والاثني بصفة عامة، مما قد يخلق دول هشة اجتماعيا وسياسيا وبالتالي تكون سلطة السلطان القاهر والمتحكم أو الوازع غير قادر على أداء الوظيفة المنوطة به، مما يجعل مثل هذه الكيانات السياسية معرضة لخطر التقسيم والتدخل الأجنبي كما هو الحال في الكثير من الدول العربية والشرق الأوسطية.

قائمة المراجع:

1. **مقدمة ابن خلدون**، الجزء 1، الفصل السابع، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، دار الفكر: (بيروت، لبنان، 159(2001.
2. محمد عابد الجابري، ***العصبية و الدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي***، مركز دراسات الوحدة العربية: (بيروت، لبنان 163،(1994.
3. **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق.174
4. **مقدمة ابن خلدون**،مرجع سابق. 160.161.
5. **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق.162.
6. **مقدمة ابن خلدون**، نفس المرجع. 165.
7. –محمد عابد الجابري، ***العصبية و الدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي***، مرجع سابق.222.

8. Prerna Singh, **Subnationalism: The Concept , a measure & its application to Indian States**: Prepared for delivery at the Annual meeting of the American Political Science association, Department of Government, Harvard University. , (August28-31;2008).2.3

9. Patrick H. O'neil, ***Essentials of comparative politics*** (U.S.A: W.W.Norton & Copyright,3rd edition,2010),.49

10. O'neil, ***Essentials of comparative politics***, 50.

11. البروفيسور ***جاكوب ليفي*** **Jacob T. Levy** شغل منصب بروفيسور في العلوم السياسية في جامعات ***McGill University, University of Chicago, Princeton University***، له عدة مؤلفات منها: ***Rationalism, Pluralism, and Freedom***. Oxford University Press, 2014. ***The Multiculturalism of Fear***. Oxford University Press, 2000.للمزيد أنظر: https: //www.mcgill.ca/politicalscience/faculty/levy

12. Iann Shapiro, Will Ktmlicka, ***Ethnicity and group rights*** (New York University press,1997),5-6.

13. -Ibid.,6.

14. Encyclopaedia Britanica, ***''Elman Rogers Service AMERICAN ANTHROPOLOGIST.''*** https: //global.britannica.com/biography/Elman-Rogers-Service (1-12-2007).

15. John A.Shoup, ***Ethnic Group of Africa and Middle east***, An Encyclopedia(California: ABC-CLIO,2011),p.xiv

16. Susy Nadaruhuste, ''State_Building and Service delivery in fragile and conflict affected States'', ***Literature Review*,** Final Report, (13th May2011).7

17. Francis Fukuyama, ***State building: Governance and world order in the Twenty-first century'',***(London: Profile book;2004).11

18. Jordy Rocheleau, Ethical principles for State_building: State-building and the end of war, **Colloquium Report, (** October2008).8

19. **DFID. Practice Paper**, Building peaceful states and societies, (U.K.: Departement for International Development,2010)..14

20. ***Soulèvements arabes en Iran***, http: //iran.blog.lemonde.fr/2011/04/20/soulevements-arabes-en-iran/20/04/2011.

21. -http: //**www.aljazeera.net**/encyclopedia/citiesandregions/2015/12/27.

22. **Seeking Rights to cultural Identity: The Deathly struggle of Ahwazi Arab activists.**Report of Justice For Iran.(February 2013).6

23. مي محمد آل خليفة، ***سبز آباد ورجال الدولة البهيّة***'، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (عمّان، 1998).191.

24. جابر أحمد، **شيخ خزعل أمير عربستان – الأهواز – وذاكرة المؤرخين**، http: //www.ahwazstudies.org/Article.aspx?aid=501/2012.

25. Mohammad Nawaseri , **Iran and Obscurities of the Demographic Distribution in Ahwaz**, February 2007, Translated by Selma Ahwazi 2008.07.06.(1-9).

26. ملهم الملائكة، ***خوزستان أم عربستان؟ عرب إيران والبحث عن الهوية***، http: //www.dw.com/ar/ 2014/05/17

27. محمود بشاري الكعبي،، **"الأحواز.. أرض عربية لا تتكلم العربية!"**، حوار من طرف علي القحيص. جريدة الرياض، 25 ابريل 2011، العدد 15645.

28. Laurence Louër, **LE BAHREÏN, MAILLON FAIBLE DU GOLFE,** CERI-Sciences Po, Septembre 2011, http: //www.ceri-sciences-po.org.1-3

29. كورتين وينزر،**السعودية والوهابية وانتشار الفاشية الدينية**،مبدل ايست مونيتر Middle East Monitor،عدد جويلية 2007.

30. قسم البحوث و الدراسات الجزيرة، **العلاقات البحرينية الإيرانية من التدهور إلى التحسن**، الدول العربية و إيران الثورة، منتدى الوحدة. العربية، فيفري2007. 9

31. http: //**www.siyassa.org.eg**/NewsContent/2/132/2491

32. -علي محمد فخرو، **انعكاسات التحركات العربية من اجل الديمقراطية على البحرين**، منتدى التنمية: معالم النظام الديمقراطي المنشود في دول مجلس التعاون، (دبي، 19 جويلية 2011).3.